عَثَرَاتُ الأَقْلَام

الأستاذ وهيب دياب
(دمشـــق)

نقلت مجلة اللسان العربي في الجزء الثالث منها وفي الصفحة 253 ما قاله الاب انتاس الكرملي على كتاب المخصص وهذا نص الكلام المنقول عن مجلة لغة العرب :

لابن سيده (من العصر الاندلسي) كتاب جليل اسمه المخصص لم يؤلف مثله من سبقه ولا من تلاه. افاض عليه شيئا من ذرب دماغه فجاء سفرا بديعا يشهد له بعلو الكعب في لغة عدنان ... ومن الغريب انك اذا فتشت فيه عن معنى البعد وما يتصل به لا ترى له اثرا .

انتهى كلام الكرملي سامحه الله واني اقول : هذا سهو منه فموضوع البعد في المخصص في السفر الثاني عشر منه وفي الصفحة 51 وعنوان الباب « الاغتراب والنزاع والبعد » ويليه باب آخر عنوانه « التنحي والبعد عن البيوت والمياه » . ولقد احببت ان ابين ذلك لئلا يقنط احدنا من المخصص ان اراد مراجعة موضوع البعد وما قيل فيه . اما ما قاله الكرملي فهو من ذهول العلماء ليس الا . وكثيرا ما يحدث ذلك وليس بالمستغرب فالعصمة لله وحده .

واني ما ذكرت العلامة الكرملي مرة الا قلت لنفسي ترى ايهما اصح (تحاشى) ام (تحشى) ؟ فالكرملي وهو مؤلف كتاب اغلاط اللغويين الاقدمين) يقول في الصفحة 144 من كتابه « النقود العربية وعلم النميات » : انما تحاشى بمفهم استعمال كلمة البغلية لما فيها من قبح اللفظ والمعنى . (انتهى) .

وحين نرجع الى لسان العرب لابن منظور « طبعة دار صادر ودار بيروت » نجد في مادة حشا (ص182) : كما تقول تنحى من الناحية كذلك تحاشى من حاشية الشيء وهو ناحيته (انتهى) . وهنا تساورني الشكوك فمن (ناحية) جاء (تنحى) ومن (حاشية) يجب ان يجيء (تحشى) ليوازن (تنحى) كما وازنت (ناحية) (حاشية) مما يجعلني اظن ان (تحاشى) جاء بزيادة الالف في لسان العرب . وحين نطالع مادة (حشى) في تاج العروس ص 91) في نسخة بيروت المصورة نجد : وتحشى من فلان: تلدم . ونجد في المستدرك بعده : وتحشى من الجاشية كتنحى من الناحية (انتهى) . وهذا ما يزيد ظني بان (تحاشى) خطأ نقل في اللسان وان (تحاشى) غلط يجب ان نتجنبه وفي تجنب وتفادى وتحامى خير العوض ان خفنا (تحشى) . واني لم اجد (تحاشى) في المعجمات التي بين يدي .

اما المتزفون على المعجم الوسيط فقد تفادوا هذه المشكلة فلم يسلكوا في المعجم مادة حشا وتحشى وحاشى وحاشية وما اخالهم عدوا ذلك من حشو الكلام ولا جرم انهم نسوها .

هنالك مسالة ثانية يجيلها في ضميري اسم العلامة الكرملي وهي انه قال في الصفحة 54 من كتاب النقود المذكور : الثمن للاشياء المادية ويجمع على اثمان والقيم لغير الماديات ومفردها قيمة هذا بنوع عام على ان الواحد قد يجيء بمعنى الآخر من باب التوسع (انتهى) . اقول لهذا التقرير تتمة وهذا التوسع يكون دائما ونحن لا نستطيع وضع القيمة في موضع الثمن . فالثمن العوض والقيمة ما يقاوم الشيء تماما بلا زيادة ولا نقصان . ونحن احيانا نشتري الشيء باقل من قيمته فنقول اشتريته بثمن زهيد او بخس ولا نستطيع القول اشتريته بقيمة بخسة . قال تعالى في سورة يوسف « وشروه بثمن بخس » . يقول ابو البقاء الكفوي في كتاب الكليات : وقيمة الشيء عبارة عن قدر ماليته بالدراهم والدنانير بتقويم المقومين وهي مساوية له بخلاف الثمن فانه يكون ناقصا وزائدا . انتهى كلام ابي البقاء وكتب الفروق اللغوية تؤيد تقريره .

وفي كتاب النقود المشار اليه يقول الكرملي (ص 183) : نقد فلسطيني (انتهى) . وقوله فلسطيني غلط عند من يتراءى براي ابن منظور والفيروزابادي. ففي لسان العرب في مادة (فلسط) : واذا نسبوا الى فلسطين قالوا فلسطي . واستشهد بشعر ابن هرمة:

كاس فلسطية معتقة
شجت بماء من مزنة السبل

وقال مجد الدين في القاموس المحيط : فلسطين والنسبة فلسطي . (انتهى) .

وقد ذكرني اسم الفيروزابادي هذا الامر . فقد قال في قاموسه في فصل الباء ـ باب النون : البين يكون فرقة ووصلا واسما وظرفا متمكنا والبعد وبالكسر الناحية والفصل بين الارضين وارتفاع في غلط وقدر مد البصر . ثم يقول رحمه الله في فصل الميم ـ باب الواو والياء : المدى كالفتى الغاية كالمدية بالضم والميداء بالكسر وللبصر منتهاه ولا تقل مد البصر .

انتهى كلام المجد وقد نهى عن امر واتى مثله وهذا هو ذهول العلماء ولكل صارم نبوة ولكل لبيب هفوة . قال ابو منصور الجواليقي في شرح ادب الكاتب لابن قتيبة : ومدى البصر منتهاه وقد يقال مد البصر ومدى اجود واكثر. هذا قول ابي منصور. والزمخشري يؤيد ذلك على ما يظهر . ففي اساس البلاغة في مادة (ر ت و) : وبيننا وبينهم رتوة : مسافة بعيدة قدر مد البصر . وفي مادة (م د د) : وبيني وبينه مد النيل وبسط النيل ومد البصر . وفي مادة (م د ى) : وهو في مدى البصر . وفي مادة (م ي ل) : وسار ميلا : قدر مد البصر. وهكذا نرى الزمخشري يجعل المد والمدى سواء .

وهنا وقد ذكرت الزمخشري اريد ان اقول اني اعشق جار الله ابا القاسم واحبه حبا لا مزيد عليه وما احببته هذا الحب الا بعد توبته . فقد سمعت عن علامة دمشق الشام المرحوم السيد محمد شريف النص قوله : رايت الزمخشري في المنام مكبا على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر اليه . فقد اساء في تفسيره في الكشاف قوله تعالى : «عفا الله عنك لم اذنت لهم» . (سورة التوبة).

اعود واقول اني احببت جار الله بعد ان استغفر لذنبه . وما قرات في اساس البلاغة مرة الا اختتمت قراءتي بتقبيل آخر سطر مما قرائه . واني اخاف على سيدي ومعلمي وشيخي محمود بن عمر . اخاف ان يسال سائل : كيف يقول شيخك في مقدمة مقاماته : « واخذه على نفسه الميثاق لله ان من عليه بالصحة ان لايطا باخمصه عتبة السلطان». كيف يطا باخمصه ؟ وتعريف الاخمص في كتب اللغة: ما يصيب الارض من باطن القدم . ومعنى وطئه داسه برجله . وهو يقول في اساس البلاغة في مادة (خ م ص) : وكل شيء كرهت الدنو منه فقد تخامصت عنه .

اقول لمن يسالني هذا السؤال : لقد كان شيخي عفا الله عنه بساق واحدة تعاونها عكوز ولا شك في ان ثقل جسمه قد جعله امسح القدم مستويها او كانت قدمه رحاء او كرشاء اي كثيرة اللحم مستوية الاخمص ، او كانت حبناء اي كثيرة لحم البخصة ومن معاني البخصة لحم باطن القدم. وساظل ادافع عن جار الله طيلة عمري واحامي عليه مدى حياتي فهو الغذ الذي لا يمادى ولا يجازى . وهو معلمي ومن علمني حرفا كنت له عبدا وحسبه من الفخر انه وهب لنا اساس البلاغة وكفاك به كتابا .

واذكر في اساس البلاغة معجم متن اللغة للمرحوم احمد رضا . ففي مادة (ح ر م) يقول : احترمه : جعل له حرمة « وهو ما يقتضيه القياس ولم ارهم ذكروه في المسموع غير ما تدل عليه عبارة المصباح » (انتهى) . وقبله قال المرحوم احمد فارس الشدياق في كتابه « الجاسوس على القاموس » ص

642 : احترمه راعى حرمته وهي ما لا يحل انتهاكه ، لم اجده فى الجمهرة ولا فى التهذيب ولا فى المجمل ولا فى ديوان الادب ولا فى الصحاح ولا فى مختصره ولا فى المحكم ولا فى الاساس . انتهى كلام الشدياق واني اقول : لقد ذكره الاساس ولكن فى مادة (م ل ح) فقد قال : الملح : الحرمة وان معناه انه يحترمك ما دام جالسا معك فاذا قام عنك رفض الحرمة (انتهى)

هذا النص يثبت لنا ان «احترم» ليس من المواليد الجدد . وكذلك « اقتطف » الذى قل ان تجده فى معجم قديم فقد اثبته الزمخشري فى مقدمة مقاماته اذ قال طيب الله ثراه : وما تهدل علي من ثمر الطائه حتى استمكنت اصابعي من اقتطافه . (انتهى) ومن العجب قول الشدياق فى الجاسوس على القاموس (ص 619) : اقتطف بمعنى قطف لم اجده فى الكتب مع كثرة استعماله واغرب من ذلك خلو الاساس عن مادة قطف بالكلية . (انتهى) .

اقول ان مادة قطف فى الاساس ترد بعد مادة قطع ولكنها قليلة الكلمات وربما كانت نسخة الشدياق خالية منها .

ومن طرائف معجم متن اللغة انه يقول فى مادة «قدم»: القدم مؤنثة . ولكنه يقول فى مادة «بخص»: اللحم الذى يركب القدم : لحم باطنه . » . وهكذا يجعلها مذكرا وينسى انه ينبه على تانيثها وهو الاشهر ، اما الشاعر البستي الذى قال :

الى حنفي مشى قدمي

ارى قدمي اراق دمي

فانما اضطره الى ذلك طلب الجناس لا لان تذكير المؤنث اهون من تانيث المذكر عند العرب . واني اتمنى على معجماتنا ان تستعمل فى مطبوعاتها القادمة كلمة مكرنث الى جانب الاسم الذى يذكر ويؤنث مثل : عروس ، او طريق ، الذى يؤنثه الحجازيون ويذكره النجديون . فاذا كان التذكير اشهر يكتب الى جانب الاسم : يكرنث . اي يذكر ويؤنث . واذا كان التانيث اشهر يكتب : تكرنث . وبذلك نختصر يذكر ويؤنث والتذكير اعلى او التانيث اشهر . هذه الكلمة « مكرنث » ابتدعتها لمعجماتنا وارجو ان لا تكون هذه البدعة فى النار . واني القيتها على بساط البحث . والراي لسادتنا علماء اللغة وفقهائها ، ولمجامعنا العاملة .

اعود الآن الى معجم متن اللغة فمن هفواته انه كان ممن جعل (الغين) فى موضع (الفاء) . يقول فى الصفحة 234 من الجزء الاول : البير : ... وهو من الفرائق الذى يعادي الاسد . (انتهى) والصواب : الفرانق بالفاء .

وفى مادة صياط (ج 3 ص 515) جعل الفاء فى موضع الغين وجاء بالظاء فى مكان الطاء فقال : الصياط اللفظ العالي . (انتهى) والصواب : اللغط. ذكره القاموس والتاج واهمله الصحاح واللسان .

وممن تركوا الباء فى محل النون ، احد ابناء امنا الحبيبة مجلة اللسان العربي. ففي الجزء الثالث منها وفى الصفحة 102 نقل عن شرح ادب الكاتب قولهم : يدي من كذا ، فقال فى آخر سطر : ومن البتن قنمة (انتهى) والصواب : ومن النتن . ولو ان ناقل النص رجع الى جدول الخطا والصواب فى آخر الكتاب لوجد التصحيح .

وفى الجزء الثالث من اللسان العربي (ص 96) نص منقول عن كتاب حاضر العالم الاسلامي ومنه :

بطريق التكامل الى ذهب مر بصور الاجسام ..... من نوع سهب الرمل (انتهى) .

وصواب النص : بطريق التكامل الى ذهب يفهمون انه مر بصور الاجسام ..... من نوع سكب الرمل .

وهكذا اسقط من النص المنقول «يفهمون انه». وجعل سكب الرمل سهب الرمل .

اتمنى على كل قاريء عربي ان يرجع الى جدول الخطا فيصحح اخطاء كتابه قبل ان يقراه لئلا تنطبع صورة الخطا فى ذهنه ولئلا يترك اغلاط الكتاب لاولاده . وليكن كل منا على حذر ، فاحيانا يجعل الجدول الصواب خطا كما حدث فى جدول الخطا والصواب فى كتاب تهذيب الالفاظ لابي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت . هذا الكتاب الذى هذبه ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، اصدار المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين فى بيروت عام 1895) فقد جاء فى الصفحة 19 منه قول رؤبة :

فقلت لو عمرت عمر الحل . (انتهى) .

وهذا صواب والفعل يبنى على ما لم يسم فاعله الا ان مصحح الكتاب يقول فى الصفحة 938 عمرت: (بكسر الميم) : الصواب : عمرت (بفتح الميم). (انتهى) .

وهذا خطا . فالصواب ما ورد قبل التصحيح . قال تعالى : « يود احدهم لو يعمر الف سنة » . (البقرة)

هذا ووجود جدول الخطا والصواب لا يعني ان المصحح مر بكل غلطة في الكتاب فاصلحها ، ففي الكتاب نفسه وفي الصفحة 508 نجد : ويقال قطعه اربا اربا . (انتهى) . كتبه بتحريك الراء والصواب التسكين وهو مع ذلك لم يستدرك اصلاحه في نهاية الكتاب .

ويتمثل لي الآن الجزء الرابع من مجلة « اللسان العربي » وما جاء في الصفحة 963 من قول الاخ الامير يحيى الشهابي : والعامة في الشام تقول « النواصة » ولعلها من انتاصت الشمس استناصة غابت (انتهى) .

وهنا احب ان الفت الانتباه الى ما قاله العلامة المرحوم محمد كرد علي في كتابه غوطة دمشق وفي كلامه على الفصيح في كلام اهل الغوطة . فقد جاء في الصفحة 59 من الكتاب المذكور : « نوز » قلل . يقولون (يقصد العوام) نوس الضوء : قل من اضاءته (انتهى) . رحم الله الاستاذ كرد علي فقد ارشدنا الى نوز الذى اخذت منه العامة : نوس او نوص المصباح اي قل من اضاءته .

وفي اللسان العربي (ج 4 ص 42) مقال للاستاذ عبد الحق فاضل ورد فيه ما يلي : « وقد اطلقت على صانع الخيطان والاهداب تزين بها الثياب والستائر واشباهها » . (انتهى) والصواب ان يقال : الخيوط . فجمع خيط الخياطة خيوط وخيوطة واخياط . وجمع خيط النعام وخوط الشجرة خيطان . وهذا الجمع لاسراب النعام وافصان الشجر . وهذه الغلطة المغواة في ذمة المعجم الوسيط ولا يسأل بها الاستاذ فاضل . بل اسأل بها خمسة من اكابر الادباء وهم السادة الاساتذة ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار الذين قاموا باخراج المعجم الوسيط ، والاستاذ عبد السلام هارون الذى اشرف على طبعه ...

ففي الجزء الثاني من المعجم الوسيط (ص 658) وفي مادة (غزل) تجد : غزل الصوف او القطن ونحوهما يغزل غزلا : فتله خيطانا بالمغزل . (انتهى). والصواب ان يقال فتله خيوطا . قال الشيخ الامام ابو عبد الله الخطيب الاسكافي في كتابه مباديء اللغة (ص 168 مطبعة السعادة 1325 هـ) : والقطيع من النعام يقال له خيط بالفتح وهو احد ما يغلط فيه صاحب الفصيح والخيطان بالفتح جمعه .

ومن اخطاء الطباعة وطريف التحريف ما جاء في الجزء الثاني من المعجم الوسيط (ص 555) : (الطاء) من الحروف المهجورة . (انتهى) . يريدون المجهورة فجاءت المهجورة ومن يهجر هذا الحرف وهو اول الطيبات ؟ .

وفي المعجم اخطاء تشكيل كثيرة مثل : صفق الطائر جناحيه (ص 519) و : ليوضع فيه السمن (535) .

واطرف ما في المعجم هذه الجملة الخديجة المشياة التي تقول : سيلحق بنهاية الجزء الثاني من المعجم ما عسى ان يكون قد وقع من اخطاء الطبع ، وبعض ما يعده من استدراك (انتهى) . وتجد هذه الحاشية في الصفحة 15 تحت فهرس الجزء الاول من المعجم . ولندع غرابة تركيب الجملة جانبا فهلا قالوا : (سيلحق بنهاية الجزء الثاني تصحيح لما ..). واين كلمة تصحيح في هذه الجملة المرهقة التي اهلكها : ما عسى ان يكون قد . وهو حمل القاله تنوء بالعصبة اولي القوة . واغرب من ذلك كله انك لا تجد في نهاية الجزء الثاني ما وعدوا به بل تجد وعدا جديدا .

اين في المعجم « اخصى : « اخصى الرجل تعلم علما واحدا » ونحن في عصر الاخصائيين اين امثال ذلك ؟ لقد اهمل المعجم الوسيط بعض المعاني لكلمات نحن في اشد الحاجة الى معانيها المتعددة ولنضرب مثلا :

من الادراس المسننة في الآلات ما يدور في اتجاه حركة عقارب الساعة . وهذا ما يعبر عن دورانه بالانكليزية ب Clock wise (كلوك وايز). ومنها ما ينفتل نحو الوجهة المضادة لاتجاه دوران عقارب الساعة ويعبرون عنه ب Counter clock wise (كاونتر كلوك وايز) . ونحن اليوم مفتقرون الى التعابير الفنية بعد ان بدات جامعاتنا تدرس العلوم والفنون باللغة العربية . وقد ترجم لنا هذين التعبيرين عربي قديم احسن الله اليه ولكم تمنيت ان اعرف اسمه . ففي الصفحة 176 من كتاب

النوادر فى اللغة لابي زيد سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري (تصوير دار الكتاب العربي ببيروت) تجد ما يلي : وانشدني رجل من بلحرمار :

ونطحن بالرحا شـزرا وبتـا

ولو نعطي المغازل ما عيينـا

ويقول ابو زيد : الشزر الذى يذهب نحو يمينه والبت الذى يذهب نحو شماله (انتهى). وعلى هـذا نستطيع ان نقول هذا المسن يدور شزرا وذاك يدور بتا . ولعلنا بذلك ندير عقول من يتهمـون العربيـة بالعجز عن التعبير عن بعض المعاني الفنيـة بايجـاز ودقة . وانك حين ترجع الى المعجم الوسيط لا تجد فى مادتي بت وشزر ما يشير الى هذيـن المعنيين الرائعين . فهل نقذف فى اليم مثل هاتين الدرتيـن الكريمتين .

ولنضرب مثلا آخر ولنتكلم على احدى فتيات الرقص الرمزي (البالـه Ballet) فاقـول : ان مشيها على اطراف اصابعها رائع . فان اضطـررت الى ان ابعث اليكم بذلك فى برقية فساقول : اكتيامها رائع . وبذلك اختصر اربع كلمات . ففى لسـان العرب فى مادة (كوم) نقل عن تهـذيب الازهـري قوله : الاكتيام القعود على اطراف الاصابع تقـول اكتمت له وتطاللت له . (انتهى) . وفى اللسان ولكن فى مادة (حرق) تجد بقية المـادة : واذا مشى علـى اطراف اصابعه اختيارا فهو مكتام (انتهى) .

وهذه الروائع واشباهها لا تجدها فى المعجـم الوسيط بل تجد « الكنبة Canapé » الفرنسية قد انحشرت بين الكلمات العربية لا خلسة بل وهـي منا مراى ومسمعا وباذن مجمع اللغـة العربيـة فى مصر وكانها اجنب (1) نصاب ينـدس بيـن اعضاء جامعتنا العربية باذن احد المراجع الوطنية المسؤولة.

ما هكذا يا قوم ... لقد المت حيـن وجـدت «الكنبة» معفوفة فى حرم معجمنا العربي . المت وقلت ليتهم تذكروا : واعتدت لهن متكا (يوسف) . او : على سرر متقابلين (الحجر والصافات) . او : على الارائك متكئون (يس) . الا رحم الله القائل :

فسبحـان الذى اعطـاك ملكـا
وعلمك الجلوس عـلى السريـر

يقول الدكتور ابراهـيم مدكـور فى تصديـر المعجم (ص 5) : ويوم ان انشيء مجمع اللغة العربية عام 1934 نص فى مرسوم انشائـه على ان من اهـم اغراضه : « ان يحافظ على سلامة اللغـة .. » . وفى الصفحة 8 يقول مادحا المعجم « فيه الفـاظ حديثة ومصطلحات علمية لم يرض المجمع الفرنسي ان يدخلها فى معجمه الا بعد مضي مائة سنة تقريبا من نشره وفى الطبعة الرابعة » . (انتهى)

وهكذا نرى ان الذين قاموا باخـراج المعجـم الوسيط خالفوا عن اهم اغراض مجمـع اللغـة ولم يحافظوا على سلامتها بل اقحموا الكثير من الدخيـل فيها . فلو اكتفوا بما تدعو اليه الحاجة الماسة . وكم كنت اتمنى لو انهم قلدوا المجمع الفرنسي الذى اشار الدكتور مدكور الى تانيه فتجلت بذلك عجلتنا ، وبين العجلة والسرعة بون شاسع . فالمجمع الفرنسي لم يكن عوقا بل كان حريصا على اللغة الام .

ولنعد الآن الى اظلال امنا الحبيبة مجلة اللسان العربي ففي الجزء 3 ص 225 يقول الاستاذ عبد الحق فاضل : اذا امعنا النظر . (انتهى) . اقول : امعـن فعل قاصر خلق لازما مـالما غير متعد وهو لا يحب النصب فلم نعلمه الاعتداء ! . نقول امعن الرجل فى الامر : ابعد فيه . فهلا قال : انعمنا النظر .

هذه الزلة كانت احدى هنات كتاب السـاق على السـاق فيما هو الفارياق لاحمد فـارس الشـدياق « مطبعة الفنون الوطنية بالقاهرة » ففي الجزء 2 منه ص 207 يقول : فكان ينبغـي للرجال والنسـاء ان يمعنوا النظر . (انتهى) . وواحدة مثلها فى الصفحة 268 من الكتاب المذكور (ج 2) قال : خصما للنزاع. (انتهى). والصواب ان يقول : حسما . وما اظن ذلك الا من اخطاء الطباعة فالشدياق شيخ من مشايخ هذه اللغـة .

(1) قال الازهري : وكلام العرب : تقول اجنـب وجانب وجنب ولا تكاد تقول اجنبي .

وفي الجزء الثاني من اللسان العربي (ص 22) تكلم الاستاذ فاضل على الكازوز او الغازوزة وقال : وقال : هذه الكلمة اليمربية اصلها عرق السوس وهو شراب . ثم قال : الظاهر ان العرب كانوا يستعملونه في الاندلس فاقتبسه الاسبان وسموه (الكزوز Alcazuz) ثم قال : ثم عاد الاسم الى العربية بصيغة الكازوز . (انتهى) . اقول ان ال هنا اي Al في Alcazuz هي على الارجح ال التعريف العربية التي تركها عرب الاندلس اثرا خالدا في كثير من الكلمات في اسبانيا . ولو تامل الاستاذ الكريم قوام كلمة الكازوزة افلا يظن انها تنظر الى كلمة القازوزة وتكاد تصيح انها امي . ومن معاني القازوزة في معجماتنا : الطاس والمشربة والقدح والصغير من القواربر . يقال قازوزة وقاقوزة وقاقزة والكلمة معربة وقد قال المغيرة بن الاسود :

افنى تلادي وما جمعت من نشب
قرع القواقيز افواه الابارين

وقال النابغة الجعدي :

كاني انما نادمت كسرى
فلي قاقزة وله اثنتان

وابن فارس يقول في الصاحبي (ص 63 طبعة الجوائب) : قال علماؤنا : العرب تسمي الشيء باسم الشيء اذا كان مجاورا له (انتهى) . ويقول الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية (ص 305) طبعة البابي الحلبي : فصل في ذكر المكان والمراد به من فيه : والعرب تقول « اكلت قدرا طيبة » اي اكلت ما فيها وكذلك قول الخاصة : شربت كاسا . (انتهى) . ترى فهل كانت القازوزة والدة الكازوزة فالملامح متشابهة والقسمات متقاربة .

وفي الجزء الثاني من اللسان العربي (ص 26) قال الاستاذ فاضل : ونحن اليوم لا نجد في الفصحى لفظة بصيغة المفرد تدل على القرينين من الناس او الاشياء وقد حل العامة هذه المشكلة باستعمال كلمة الزوج .... على حين انك اذا قلت : اشتريت زوج حذاء كان المعنى في الفصحى انك اشتريت فردة . (انتهى) .

اني استسمح الاستاذ فاضل العفو فلي على هذا الكلام ثلاث ملاحظات . ففي الفصحى الفاظ كثيرة بصيغة المفرد تدل على القرينين . واستعمال الناس كلمة الزوج للدلالة على الاثنين ليس من كلام العامة . واشتريت زوج حذاء ليس معناه اشتريت فردة . وبالاضافة الى ما قاله المفسرون في تفسير الزوج في الآية الكريمة (خلق الزوجين الذكر والانثى) نجد (في الصفحة 236) من شرح درة الغواص لاحمد شهاب الدين الخفاجي (طبعة الجوائب بالقسطنطينية 1299 هـ) قول الخفاجي : ذكر اهل اللغة كالراغب وغيره ان الزوج يطلق على كل واحد من القرينين وعلى مجموعهما وقد سمع كل منهما من العرب . (انتهى) . ويقول الاسكافي في مباديء اللغة (ص 36) حيث يذكر انباب . ويقال له اذا كان واحدا فرد فان كان زوجا فهما مصراعان وهي ابواب افراد وابواب مصاريع . (انتهى) . ويقول ابو الطيب اللغوي في كتابه شجر الدر (ص 217) بتحقيق الاستاذ محمد عبد الجواد : الازواج من كل شيء ما كان اثنين اثنين . ويقول في الصفحة 223 والزوج الذكر والانثى . (انتهى) . وفي الامالي لابي علي القالي (ج 2 ص 20) :

وكنا كزوج من قطاني مفازة
لدى خفض عيش معجب مونق رغد

اصابهما ريب الزمان فافردا
ولم نر شيئا قط اوحش من فرد

(انتهى) والبيتان لزند بن الجون وهو ابو دلامة واسمه زند بالنون كما ورد في الاغاني (ج 10 ص 235) الطبعة المصورة . والبيتان في الجزء المذكور (ص 255) وفيهما بعض التبديل . ولقد التبس الاسم على بعضهم ومنهم الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم محقق ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ففيه يقول : ابو دلامة زيد بن الجون (الصفحات 26 . 775 . 778) . (انتهى) .

ونرجع الى حديث الزوج لا ترك الله واحدا بلا زوجة . واقول زوجة لاداعب الاصمعي فقد اباها بالهاء مع انها تزيد في انوثتها وانسها . ففي الفاضل للمبرد (ص 117) : ولم ير ازواج قط احسن من ثلاثة : عائشة بنت طلحة ومصعب بن الزبير ، ولبابة بنت عبد الله والوليد بن عتبة ، وجعفر بن ابي طالب واسماء بنت عميس . (انتهى) . وهكذا نسمع المبرد يقول ثلاثة ازواج ثم يترنم باسماء ستة من امراء الجمال . ولن يعتب النساء علي لاني لم اقل من اميرات وامراء الجمال ، فالغراء لا يؤنث الامير بل يقول اميرنا امراة . ولله در المبرد ما الطفه وما ارق عذوبة لسانه .

مرة ثانية نعود الى حديث الزوج ونتلو قوله تعالى «والفجر وليال عشر والشفع والوتر» وتفسير البيضاوي يقول : الشفع الزوج والوتر الفرد . (انتهى).

وكيف ننسى كلمة مثنى او ثم جاؤوا ثناء اي اثنين اثنين ومثله جاؤوا قرانى . والقران ان تعطي اثنين اثنين. والقرون (بفتح القاف) الجامع بين لقمتين لقمتين فى الاكل (ابعده الله عنا) . وفى معجماتنا : صرع الباب جعله ذا مصراعين . وكيف نهمل زكا للشفع من العدد وخسا للفرد . يقول الجواليقي فى شرح ادب الكاتب (ص 393) فالخسا الفرد والزكا الزوج. (انتهى) . ولم لا نذكر الضعف وجائز فى كلام العرب ان يقال : لك ضعفه ويريدون مثليه . ولنذكر كلمة الحين والحين حلب الناقة فى اليوم والليلة مرتين . ثم الطوى : المطوي مرتين . والزو القرينان وكل زوج (القاموس) . والزو الزوج والتو هو الفرد ، يقال جاءا زوا اي هو وصاحبه (متن اللغة) . وقيل كل زوج زو والواحد تو (التاج) . ولنتذكر : شفعت (1) له الاشباح : راى الشخص شخصين لانتشار بصره ولضعفه فهي مشفوعة . وكذلك الثني التي ولدت اثنين . والمتئم والمتآم واتامت المراة: ولدت اثنين فى بطن واحد (اعانها الله) . والحلة وهي من ثوبين من جنس واحد . والآن اتوجه الى الاستاذ فاضل وهو النبع الغزير والعين الثرة والامل المشرق الذى يبشر بانوار جديدة فى الآفاق الواسعة ، اتوجه اليه لاعاتبه على قوله فى اللسان العربي (جزء 2 ص 26): فزادوا هذه اللغة العجيبة غنى على غناها وفوضى على فوضاها . (انتهى) .

لا يا سيدي .. لا تقلها احسن الله اليك . كيف تقول ذلك والعربية عزنا ومجدنا وهي امنا وانت ابنها البار والله تعالى يقول « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (الاحقاف) فكيف تصفها بالفوضى — ساستغفر لك ربي — لاني معجب بك . وهل يجوز لاحدنا ان يصف السماء بالفوضى ان لم يحط بعدد نجومها ، ولن يحيط بعددها واحد . فقد يعرف منها غيري ما لا اعرفه انا ، واحصي منها ما لا يحصيه هو ، ويدرك سوانا اضعاف اضعاف ما ندركه وفوق كل ذي علم عليم وقل رب زدني علما .

يا اخوتي ان طول قطر ارضنا التي نعيش عليها هو حوالي 12.741 كيلومتر وان طول قطر نجم قلب العقرب يزيد على 675 مليون كيلومتر ومع ذلك فنحن لا نرى قلب العقرب باعيننا اكبر من حمصة . وعظمة لغتنا كعظمة ذلك النجم فلا يمدد احدنا عينيه اليها على حدة بل فلينظر اليها بعيني بصره وعيون بصيرته . وان لم يحط احدنا بكل شيء من علم هذه اللغة فليس معنى ذلك ان لغتنا فوضى . ان لغة اثرت فى لغات عالمية كثيرة لجديرة بالاحترام وليس غريبا ان عنت الوجوه لها . قال الاب نخلة اليسوعي فى كتابه غرائب اللغة العربية ما معناه : لقد اثرت اللغة العربية فى مائة لغة عالمية . (انتهى) . فلنكرم لغتنا ولنمجدها ونحن — الناطقين بها — اولى الناس باحترامها .

ولاحدثكم الآن خبر احدى عثراتي :

كنت فى صباي حين اتلو قوله تعالى « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » من سورة الكهف . كنت اسال نفسي : ولم اغفل قلبه يا ترى ؟ لم جعله يغفل عن ذكره ؟! . وامعن فى التفكير واهوى من سماء الى سماء انشد الجواب فلا اسمع الا صدى سؤالي . وفجاءة وجدتني خلصت من سبل الشوق الى دروب الشوك. اهيم فيها على وجهي والسؤال يجلجل فى صدري كانه جريح ظمآن يستغيث . ثم اني امسيت على حرف، ثم اني اصبحت على شفا جرف ، جرف هار يريد ان ينهار بي. فسلكت طريقا كان اولها « ما شاء الله كان » وما ثنم ان اصبح اوسطها « ان هي الا فتنتك » واوشكت ان ازيغ حين كدت ابلغ منقطع الهواء والرجاء . ولكن الله سلم . اذ انعم علي بحبيب اهدى الي كتاب الخصائص شيرة ابن جني (2) وتناولت منه الجزء الثالث مصادفة وفتحت واول ما قرات : ان اكثر من ضل من اهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى اليها ، فانما استهواه واستخف حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة . (ص 245) . (انتهى) . وكانت المعجزة حين وصلت الى قوله : لو اقام انسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه الا بهذا الموضع لما كان مغبونا فيه ولا منتقص الحظ منه ولا

---

1) على المجهول .

2) من معاني الشيرة : القصيدة الجيدة . وقد جعلتها هاهنا لتحل محل Chef-d'oeuvre وارجو ان نهتب لها هذا المعنى الجديد من الآن فصاعدا ..

السعادة به . وذلك قول الله عز اسمه « ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا» . ولن يخلو (اغفلنا) هنا من ان يكون من باب افعلت الشيء اي صادفته ووافقته كذلك . (انتهى) . وهكذا علمت ان معنى اغفلنا:قلبه : صادفناه ووافقناه غافلا. فثبت لنا : وعادت الي طمانينتي . وما زلت حتى اليوم حين اقف خاشعا لدى عتبة باب من ابواب فراديس الخصائص المح طيف سيدي ابن جني واذكر ما صرفه بفضل الله عني ويبكي قلبي وتفيض عيني.

ونثوب الآن الى حديث عثرات الكرام ومنها ما جاء في الصفحة 284 من كتاب شفاء الغليل للخفاجي فقد قال شارحه الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة العربية في القاهرة (سابقا) . قال : كتاب تهذيب الالفاظ العامية لدسوقي محمد . (انتهى) . والصواب: للشيخ محمد علي الدسوقي . وقال : الدليل الى مرادف العامية والدخيل لرشيد اليافي . (انتهى) . والصواب : الدليل الى مرادف العامي والدخيل وهو لرشيد عطية وهو لبناني الجنسية .

ومن فلتات الاوهام ما جاء في كتاب دليل لغة العرب وهو تاليف الاستاذ محمد امر الله (سبغ الله عنه) وكان احد اعضاء لجنة تدقيق المؤلفات بالاستانة فقد قال في الصفحة 44 من الكتاب المذكور : الجاسوس على القاموس ومجمل اللغة وفقه اللغة وسر الليال في القلب والابدال لابن فارس بن زكرياء ابو الحسين اللغوي القزويني كان نحويا على طريقة الكوفيين مات 593 . (انتهى) . هذا هو نص كلامه بالحرف الواحد فحسبنا الله ونعم الوكيل . والفاتحة الى روح ابن فارس الذي توفي ثلاث مرات : الاولى في عام 395 هـ في الري . والثانية في عام 593 حسب قول الكتاب وهو خطا. والثالثة يوم مرجه « امر الله » بالمرحوم احمد فارس الشدياق المتوفى حوالي عام 1305 هـ في الاستانة. لقد تشابهت الاسماء على الاستاذ امر الله . وما منا الا له علم بان الجاسوس على القاموس وسر الليال هما لاحمد فارس الشدياق وان المجمل (في اللغة) والصاحبي في فقه اللغة هما لاحمد بن فارس القزويني ولقد صدق الشاعر حين قال :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ومن غريب المصادفات انك اذا نظرت في معجم المؤلفين للمحقق الاستاذ عمر رضا كحالة (ج 2 ص 41) وجدت ما يلي : احمد الشدياق (1084 – 1887 م) . (انتهى) . لقد اراد المؤلف ان يقول : ولد عام 1804 فرحم الصفر الثمانية فتنازلت له عن مرتبة المئات وحلت في مثوى العشرات ولكنها لم تغادره على اي حال بل انقلبت من جانب الى جانب . ولم يدر الصفر ولا الثمانية انهما بهذه المداعبة مطلا عمر الرجل فجعلاه ثمانية تسعون وليته كان .

وكذلك تجد في حاشية الصفحة نفسها : قال الفاخوري في تاريخ الادب العربي (الطبعة الثانية) توفي 1805 م . (انتهى). وكان المؤلف يريد ان يقول ولد 1805 م . ومهما يكن فالثابت ان الرجل ولد وتوفي ولكن اسمه ظل خالدا .

واخطاء نظم الارقام في المطابع تراها مفهومة وتارة محيرة واحيانا مبكية او مضحكة وبخاصة هذه الارقام الهندية التي ما زالت تستعمل في اكثر بلداننا . فالصفر يشبه نقطة عاشقة ذوبتها لواعج الشوق والجوى . والواحد يماثل حرف الالف الذي اضناه وقوف المنتظر . والاثنان توام الثلاثة وكم يعسر ميز هذه من ذاك حين يغيظ الكبر ويغيض البصر . والاربعة في تلويها كانها الحيرة والتردد . والخمسة مثل الهاء المنفصلة في آخر الكلمة . فلم لا نعود جميعا الى ارقامنا العربية الاصل الدارجة في شمال افريقيا ونتخلص من الارقام الهندية المضللة . حكت لي سيدة فقالت : سمعت غلاما يقرا اغنية مكتوبة مطلعها « قلبي الحزين يقول آه » فكان يردد « قلبي الحزين يقول واحد وخمسين » لقد فلن الالف واحدا وخال الهاء خمسة .

لنعد جميعا الى ارقامنا العربية ولتتفق امة العرب ولو على كتابة الهمزة والى متى تظل «شئون» و « شؤون » ؟

ومن ذهول العلماء ما تراه في كتابة طراز المجالس للشهاب الخفاجي . ففي الصفحة 111 ينسب الى ابي العتاهية :

وقلبك داوى الطبيب المريض
فعاش المريض ومات الطبيب

وفي الصفحة 130 يكرره وينسبه الى الخليل ابن احمد ؟! . والصواب : لابي العتاهية والبيت في ديوانه .

وفي الصفحة 115 من طراز المجالس يقول : وقال خالد الكاتب :

نظرت الي بطرف من لم يعدل
لما تمكن طرفها من مقتلي

فظللت اطلب وصلها بتملق
والشيب يغمزها بان لا تفعلي

(انتهى) والبيتان لخالد كما في زهر الآداب (ج 2 ص 294) ولكن الخفاجي يقول في الطراز (ص 129) قال ابو دلف :

فجعلت اطلب وصلها بتلطف
والشيب يغمزها بان لا تفعلي

(انتهى) وفي الصفحة 226 يقول : كما قال عبد الله القوي الضرير :

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا
والليل اطوله كاللمح بالبصر

فالآن ليلي مد غابوا قد يتهم
ليل الضرير فصبحي غير منتظر

(انتهى) والصواب : البيتان لابي طاهر سيدوك الواسطي رواهما الثعالبي في ثمار القلوب (ص 635) وفي يتيمة الدهر (ج 2 ص 342).

ومن الهنات الصغيرة قول الاستاذ عبد الستار فراج في الصفحة ب من مقدمة تاج العروس (طباعة الكويت) : الصاغاني المتوفى ببغداد سنة 650 هجرية عن ثلاث وسبعين عاما . (انتهى)

والصواب : عن ثلاثة وسبعين . وثلاث خطأ طباعة ولا شك . وهنا احب ان اورد للفائدة ما قاله الجواليقي في الصفحة 8 من كتابه تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة . قال :

ومن ذلك العام والسنة لا تفرق عوام الناس بينهما ويضعون احدهما موضع الآخر فيقولون لمن سافر في وقت من السنة الى مثله اي وقت كان سافر عاما . وذلك غلط والصواب ما اخبرت به عن احمد بن يحيى رحمه الله انه قال : السنة من اي يوم عددتها فهي سنة ، والعام لا يكون الا شتاء وصيفا . وليس السنة والعام مشتقين من شيء ، فاذا عددنا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف . والعام لا يكون الا صيفا وشتاء .... والعام اخص من السنة فعلى هذا نقول : كل عام سنة وليس كل سنة عاما . (انتهى) .

وبصدد قول الجواليقي (وليس السنة والعام مشتقين من شيء) . اود ان اسلك هنا ما قاله الشيخ اسماعيل حقي في كتابه فروق حقي (طبعة القسطنطينية عام 1310 هـ) . قال في الصفحة 161 : وقيل سمي السنة عاما لعوم الشمس في جميع بروجها . والعوم السباحة ويدل على معنى العوم قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » . (انتهى) .

واخيرا فقد طالت سباحتنا وانتهت سياحتنا . وكان معظم المقال على الاغلاط . وخير ما اختم به الحديث هو قول الثعالبي « الغلت في الحساب كالغلط في الكلام » وتبعه الزمخشري فقال « تقول: فلان غلط في الكتاب وغلت في الحساب » .